جامعة القاهرة
كليـة دار العـلوم
قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية

البحث الدلالـي عند الفلاسفة العرب

رسالة دكتوراه

مقدمة من

الباحث/ ***كامل أنور سعيد محمد***

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور/ ***محمد يوسف السيد حبلص***
أستاذ علم اللغة ووكيل كلية
دار العلوم السابق

الأستاذ الدكتور/ ***عبد الحميد عبد المنعم مدكور***
أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم
وعضو مجمع اللغة العربية

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ

إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

[النحل:١٠٣]

إهـــــداء

إلى والديَّ..

إيمانا بتضحية صادقة

ويقينا بعطاء لا ينفد

إلى محبي العربية وعشَّاقها ..

والساعين إلى رفعتها وشموخها

في زمن لم تجد فيه حظَّها بين أهلها

شكر وتقدير

*أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى العالم الجليل، أستاذي، أ.د/ **محمد يوسف حبلص**؛ أستاذ علم اللغة ووكيل كلية دار العلوم السابق، لتفضله وقبوله الإشراف على هذا البحث، فأتاح لي شرف التتلمذ على يديه ثانيةً، وكانت الأولى في الفرقة الأولى من مرحلة الليسانس، فأشكر له نصائحه وإرشاداته القيمة، طوال فترة إشرافه على هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعل هذا العمل في ميزان حسناته.

* كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى العالم الجليل، والمفكر الإسلامي،أستاذي، أ.د/ **عبد الحميد عبد المنعم مدكور**؛ الأستاذ المتفرغ بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم؛ لتفضله وقبوله مشاركة الإشراف على هذا البحث، فمد لي يد العون، ومنحنى من وقته وجهده الكثير، ولنصائحه وإرشاداته القيمة التي أفدت منها كثيرا، فجزاه الله عني خير الجزاء.

*كما أتوجه بكل الشكر والتقدير إلى أستاذي؛ أ.د/ **محمد عبد الله عفيفي**، أستاذ الفلسفة الإسلامية ووكيل كلية دار العلوم بالفيوم؛ لتفضله وقبوله مناقشة هذا البحث، فأتاح لي شرف الالتقاء بفضيلته والوقوف بين يديه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

*كما أتوجه بخالص الشكر وأوفره إلى أستاذي؛ أ.د/ **إبراهيم عبد المجيد ضوّة**، أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم ومدير مركز التدريب اللغوي؛ لتفضله وقبوله مناقشة هذا البحث، وإرشاداته القيمة ونصائحه التي أفدت منها كثيرا، فجزاه الله عني خير الجزاء.

*وأخيرا لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل من أسدى إليَّ نصيحة أو قدَّم لي عونًا، فجزى الله الجميع عني وعن البحث وعن العلم خير الجزاء.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فالبحوث العربية الدلالية تمتد منذ القرن الأول الهجري إلى يومنا هذا، وهذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجا ووعيا في دراسة العربية أحرزه العلماء العرب من شتى المجلات المختلفة، وهذه الدراسة تتناول البحث الدلالي في مجال واحد من مجلات الفكر العربي المتنوعة وهو مجال الفلسفة وبالتحديد بعض الفلاسفة العرب الذين لهم جهود جديرة بالذكر في هذا الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع:

إذا أردنا أن نؤسس فكرًا عربيًّا معاصرًا في مجال البحث اللغوي، فإننا ملزمون بضرورة القيام بعملية استقراء للفكر اللغوي في تراثنا العربي وتمحيصه وتحديد مجالاته، الاستفادة من عطاءاته الإيجابية وتجنب سقطاته، على مستوى الأسس المعرفية في المادة والمنهج، وهذا لا يتم إلا بعودة تقويمية حضارية إلى الفكر العربي بشكل عام، والفكر اللغوي بشكل خاص، وتتم هذه العودة عبر تتبع المسار التطوري للدرس اللغوي عند العرب الأقدمين، والبحث عن الأسس المعرفية والفلسفية التي انبنى عليها التراث الفكري العربي، وذلك بربطه بالعلوم الإنسانية المختلفة، فنحفظ أصالة تراثنا المعرفي ونقف على المنهج الفكري الذي كان يشرف على تتابع الأبحاث والدراسات في هذا التراث، وبذلك يتحقق مشروع النظرية اللغوية العربية المعاصرة، ويظهر منهجها وثمرتها في مجال العطاء الفكري والثقافي الإنساني، فإذا تحققت هذه العملية في إطارها العلمي المنهجي، فستؤدي حتما إلى بحث لغوي حديث تنتج عنه نظرية لغوية عربية قادرة على تقديم التفسير الدقيق لكل مستويات الدراسات اللغوية؛ الصوتية والتركيبية والدلالية، وبهذا نربط الفكر اللغوي العربي القديم بالفكر اللغوي العالمي المعاصر؛ لأن التحول العلمي للنظرية اللغوية في الوقت الراهن أضحى يتوخى الشمولية في التعامل العلمي مع الظاهرة اللغوية، بوصفها ظاهرة إنسانية يمكن أن تغطي اهتمامات الإنسان المعاصر[1].

وبمثل هذا التعامل الواعي مع الظاهرة اللغوية نحمي تراثنا اللغوي؛ بأن ننفث فيه من روح العصرنة والحداثة، فينبعث من جديد ليساير التطور الإنساني في شتى ميادين الفكر العلمي، ونعيد الصلة التي انقطعت بين تطلعاتنا اللغوية والجهود النظرية المنهجية التي أغنى بها أسلافنا تراثنا المعرفي.

وفي هذا السياق يندرج هذا البحث كخطوة مرحلية لاستجلاء عطاءات التراث العربي في الحقل اللغوي عامة والحقل الدلالي خاصة، مستحضرا اهتمام الفلاسفة العرب بالقضايا الدلالية التي شغلوا بها، وما زالت محل نظر الفلاسفة واللغويين المعاصرين.

---

١. انظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠١م، ص٩، ١٠.

وربما كان ارتباط علم الدلالة بالفلسفة أقوى من ارتباطه بأي علم آخر؛ فالدلالة مجال خصب، يجذب إليه كل المهتمين بدراسة الأحداث اللغوية من علماء اللغة والبلاغيين والفلاسفة والأدباء والأصوليين والأنثربولجيين وعلماء النفس وغيرهم؛ لذا تجيء مشكلة الدلالة في موضوع الصدارة من المشكلات التي واجهت العقل الإنساني؛ إذ إن السؤال: "ما معنى كذا؟" مطروح على الإنسان منذ القدم، أي منذ أن بدأ يتواصل مع غيره من الناس وحاول إدراك العالم الخارجي من حوله، ولعل الظاهرة الكلامية في مجتمع لغوى معين من أكثر الظواهر إثارة لمشكلة المعنى؛ وذلك لأن هناك علاقة حميمة بين المعنى والكلام أو اللغة عموماً، فليس ثمة لغة دون معنى، وإذا كان السؤال عن المعنى من أقدم الأسئلة المطروحة على الفكر البشرى، فلا عجب أن يقع هذا السؤال من الفلسفة في صميم صميمها؛ إذ تمثل الإجابة عليه المحور الذي يرتكز عليه البحث الفلسفي طوال تاريخه، وقد ارتبط علم الدلالة منذ نشأته بالفكر الفلسفي ارتباطاً وثيقا، حتى قيل:"إنك لا تستطيع أن تقول: متى تبدأ الفلسفة وينتهي الدلالة، وإذا ما كانت الفلسفة داخل الدلالة أو أن الدلالة داخل الفلسفة".

ثم أخذت الدلالة تحتل مكانة تدريجية في علم اللغة إلى أن تم في القرنين الأخيرين وضع الدلالة في مكانة مركزية في الدراسات اللغوية؛ حيث جاء العالم الفرنسي الأصل "ميشيل بريال ١٨٩٧م" وكتب بحثاً بعنوان: "مبحث في علم الدلالة" وبذلك أعطى استقلالاً لعلم الدلالة عن العلوم الأخرى، ويمكن اعتبار البحث الذي قدمه "بريال" نقطة تحول كبرى في دراسة المعنى؛ وذلك لأنه لم يقتصر على إحداث تبديل في مسمى البحث فقط؛ وإنما أحدث أيضاً نقلة نوعية في منهج البحث نفسه.

وهنا سؤال يطرح نفسه، مفاده: مَنْ المقصود بالفلاسفة العرب، وبخاصة وأن جدلا كبيرا أثير بين مؤرخي الفلسفة الإسلامية من العرب والأوربيين حول المقصود بالفلسفة الإسلامية، ومن ثم تحديد الفلاسفة؟.

ذهب بعض هؤلاء الباحثين إلى توسيع دائرة الفلسفة الإسلامية حتى أصبحت تشمل علم الكلام وعلم أصول الفقه والتصوف فضلا عن الفلسفة ذاتها، ومن هنا أطلقوا مصطلح "فلاسفة" على علماء الكلام وعلماء أصول الفقه والمتصوفة بالإضافة إلى الفلاسفة الخلّص، ووصل الأمر ببعضهم أن نظروا إلى علماء الكلام على أنهم هم الفلاسفة الحقيقيون، كما رأى بعضهم الآخر في مباحث أصول الفقه الموضوع الحقيقي للفلسفة الإسلامية.

ومن هؤلاء الباحثين من ضيق دائرة الفلسفة فقصروها على الفكر الإسلامي العقلاني في جوهره، كما هو متحقق في تفكير المتكلمين من معتزلة وأشاعرة، وفي الفلسفة الخالصة كما هو عند الكندي والفارابي وابن سينا في المشرق، وابن باجة وابن طفيل وابن رشد في المغرب، ومنهم من ضيّق الدائرة جدا فقصرها على الفلاسفة الخلّص بدءا بالكندي ومرورا بالفارابي وابن سينا ونهاية بابن رشد، ويستندون في هذا الاختلاف الجذري إلى منهج التفكير عند كل طائفة من طوائف المفكرين المسلمين جميعا؛ فمنهج الفيلسوف في التفكير يقوم أساسا على العقل ويتوسل بالبرهان، في حين يقوم منهج التفكير عند المعتزلة –

وإن تمسك بالعقل– على الجدل والمناقشات والخلافات اللفظية، أما منهج المتصوفة فيعتمد على القلب وشهادة الذوق والوجدان[١].

ومن هنا آثر هذا البحث في منهجه الذي رسمه لنفسه أن يقتصر في مفهومه للفلاسفة العرب على الفلاسفة الخلّص الذين لم يكونوا موضع خلاف في كونهم فلاسفة، سواء عند الباحثين الأقدمين أو المحدثين، بل انتقى من هؤلاء الفلاسفة الخلص أكثرهم انشغالا بالقضايا اللغوية عامة والدلالية خاصة، الذين قدموا نماذج وآراء متقدمة جدًّا في تحليلاتهم الدلالية، وتعاملوا مع اللغة كمنظومة من العلامات اللسانية التي لها دلالتها الخاصة دون غيرها من أنظمة العلامات الأخرى، وخاضوا منذ الآماد المبكرة في مسائل دلالية معقدة مازالت محل بحث إلى يومنا هذا، فكانت معالجتهم إياها أقرب إلى الصواب، رغم أن هذه المعالجات جاءت ضمن اهتمامات معرفية أخرى، امتزج فيها البحث بضروب معارف مختلفة، دون أن يحمل عنوانا مميزا له استقلال في موضوعاته ومعاييره الخاصة، وسعيًا مني إلى تحقيق مقاربة علمية بين تراثنا الدلالي الفلسفي، والمناهج اللغوية المعاصرة في علم الدلالة، وجهت هذا البحث في استنطاق بنية التراث الدلالي الفلسفي عند أربعة من أعلام الفكر الفلسفي، هم: أبو نصر الفارابي[٢]، وإخوان الصفا وخلان الوفا[٣]، وأبو علي بن سينا[٤]،

---

١. انظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة: محمد عبد الهادي أبي ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨، ص٦٦ (هامش). وفي الفلسفة الإسلامية، إبراهيم مدكور، دار المعارف، القاهرة، ٧/٢.

٢. هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، ينحدر من أصل تركي؛ إذ ولد في مدينة فاراب (في جمهورية أوزباكستان حاليا) عام ٢٦٠هـ/٨٧٠م، وصل إلى بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربية، فتعلمه وأتقنه غاية الإتقان، ثم اشتغل بعلوم الحكمة، وكان يجتمع بأبي بكر بن السرَّاج النحوي واللغوي فيقرأ عليه صناعة النحو، وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق، فاجتماع الفارابي بابن السراج كان حلقة الوصل بين الفارابي والتراث اللغوي العربي، عرف بأنه فيلسوف العرب ومفكرهم، ومؤسس الفلسفة العربية. (كتاب الحروف، أبو نصر الفارابي، تحقيق: محسن مهدي، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٩٩٠. مقدمة المحقق).

٣.إخوان الصفا وخلان الوفا، وهذه الجماعة لا يعرف تاريخ ظهورها بالضبط ولكن ويمكن حصر الزمن الذي ظهرت فيه ما بين عام ٣٣٤ و٣٧٣هـ، أما مكان نشوئها فالراجح أنه في مدينة البصرة، ويتفق معظم الباحثين على أن عددهم خمسة، هم: زيد بن رفاعة، وأبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن على بن هارون الزنجاني، وأبو احمد المهرجاني، والعوفي، واتخذوا لنفسهم اسما هو "إخوان الصفا وخلان الوفا" أي أصدقاء المودة، ومؤلَّفهم هو الرسائل المعروف باسمهم، تحدثوا فيها عن العلم والفلك والرياضيات والمنطق واللغة والتربية والفلسفة والموسيقى والنفس الإنسانية، وتنقسم إلى أربع مجموعات كبيرة، كل مجموعة تتضمن عدة رسائل.(رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تحقيق: عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ط١، ١٩٩٥م، مقدمة المحقق).

٤. هو أبو على الحسين بن عبد الله بن حسين بن علي بن سينا، المعروف بأبي علي بن سينا، والملقب بشرف الملك، ولد في عام ٣٧٠هـ، كان أبوه من بلخ (في شمال أفغانستان حاليا) وانتقل منها إلى بخارى (في أوزباكستان حاليا)، أدى تفوقه في المجال الفلسفي والعلمي وقدراته الفائقة على التحليل والتأليف، إلى جعل المؤرخين يعترفون له بالريادة العلمية والسياسية فيلقبونه بالشيخ الرئيس، فهو شيخ أي أستاذ مختص برؤية فلسفية خاصة، ورئيس أي قطب لرحى التفكير الفلسفي في المشرق في عصره وما بعد عصره، وذيوع مؤلفاته التي تربو على أربعمائة مصنف. (عيون الحكمة، أبو علي بن سينا، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ١٩٩٦م، مقدمة المحقق).

وأبو الوليد بن رشد[1]، منوِّعا بينهم في الزمان والمكان؛ فالزمان حرصت على أن يكون الاختيار من أزمنة متباعدة، والمكان حرصت على الاختيار من فلاسفة المشرق العربي، وكذلك فلاسفة المغرب العربي، ويندرج هؤلاء العلماء جميعا تحت مجال الفلسفة فكلهم فلاسفة خُلَّص.

وقد شكل هؤلاء الفلاسفة في مجموعهم وحدة متماسكة البنيان في تاريخ الفكر والحضارة العربية، على الرغم من التفاوت الزمني بينهم، واختلاف بيئتهم المكانية التي نشئوا فيها، وعلى هذا الأساس حددت هذه الدراسة لنفسها الامتداد الزمني للفلاسفة العرب بدءا بالفارابي ومرورا بإخوان الصفا وابن سينا وانتهاء بابن رشد.

ومنهج البحث الذي رأيته ملائما في عرض بنية البحث الدلالي عند الفلاسفة العرب هو المنهج "الوصفي" الذي يقوم على أساس وصف الظاهرة الدلالية وتحليلها تحليلا دقيقا لدى كل فيلسوف على حدة، والاطلاع على أسسها العلمية، وعرضها على أحدث النتائج التي توصَّل إليها علم الدلالة وأهمها في هذا المجال؛ لإعادة تشكيلها تشكيلا يحفظ لها طابعها المعرفي الأصيل، وتحرك فاعلية تلك الأصول التراثية الدلالية، برؤى تتطلع إلى استفادة بنّاءة تخدم الدرس الدلالي العربي المعاصر، وبخاصة أن علم الدلالة أصبح يحظى في هذا العصر باهتمام العلماء من تخصصات مختلفة، الأمر الذي يجعله نقطة التقاء لأنواع عديدة من التفكير الإنساني.

الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات قريبة الصلة من هذا البحث، منها:

- الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، جيرار جيهامي، دار المشرق العربي، ١٩٩٤م.
- التفكير اللساني في رسائل إخوان الصفا، عبد الرحمن مشنتل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- السيميوطيقيا وفلسفة اللغة عند كاسيرر، محمد مجدي الجزيري، دار الحضارة، طنطا، ١٩٩٩م.
- علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، حسن بشير، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، القاهرة، ١٩٩٥.
- فلسفة المنطق واللغة عند جوتلوب فريجة، إكرام فهمى حسين، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.
- فلسفة اللغة عند الفارابي، زينب عفيفي، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٧م.

ويمكن الوقوف قليلاً عند الدراسة الثالثة خاصة؛ لقربها الجزئي من بحثي هذا:

---

١. هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، ولد ونشأ بقرطبة، مشهور بالفضل معتن بتحصيل العلوم، أوحد في علم الفقه والخلاف واشتغل على الفقيه الحافظ أبي محمد رزق، وكان أيضا متميزا في علم الطب وهو جيد التصنيف حسن المعاني، توفي في مراكش عام ٥٩٥هـ (تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، ط١، ١٩٦٤م، مقدمة المحقق).

"**علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين**" رسالة دكتوراه للباحث حسن بشير حسن، قسم الفلسفة الإسلامية، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة. ويلاحظ على هذه الدراسة:

- أنها تناولت علاقة المنطق باللغة بصفة عامة، فركزت على قضايا التراكيب اللغوية التي تناظر القضايا المنطقية دون التعمق في المسائل الدلالية الخالصة.
- كما أنها ركزت في عرض قضاياها على الناحية المنطقية الفلسفية، بحكم أنها دراسة فلسفية لنيل درجة علمية في الفلسفة الإسلامية؛ لذا كانت نظرتها للقضايا ومعالجتها لها بما يخدم الجانب الفلسفي أكثر من اللغوي.
- وعلى أية حال أعتقد أن بحثي سيفيد من الدراسات السابقة إفادة كبيرة، تدفعه خطوات إيجابية نحو الأهداف التي حددتها له، والنتائج التي أطمح إلى تحقيقها.

محتوى الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من تمهيد وستة فصول وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع؛ فالتمهيد تضمن التعريف ببعض المصطلحات اللغوية الفلسفية.

والفصل الأول جاء بعنوان (التحليل اللغوي الفلسفي) واشتمل على مبحثين:

الأول تضمن فلسفة اللغة عند الفلاسفة اليونان، سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثم تناول فلسفة اللغة عند الفلاسفة العرب، فعالج الإرهاصات الأولى لفلسفة اللغة في الفكر العربي التي كانت بحدوث المناظرة الشهيرة بين متَّى والسيرافي، وموقف الفارابي من هذه المناظرة، ثم تناول إخوان الصفا الذين ربطوا المنطق واللغة على أساس الربط بين النطق بمعنى الكلام وبين النطق بمعنى التفكير، وحاولوا توطيد العلاقة بين علم المنطق اللغوي وعلم المنطق الفلسفي، وأن كليهما مؤثر في الآخر. أما المبحث الثاني فتناول علاقة اللغة بالفكر عند االيونان وأثرها في علاقة اللغة والفكر عند الفلاسفة العرب، ثم كيفية تناول الفكر الحديث بمختلف تخصصاته لهذه القضية، وأخيرا علاقة اللغة بالمنطق.

وعالج **الفصل الثاني** قضية الدال والمدلول من منظور فلسفي، واشتمل على مبحثين؛ الأول: حمل عنوان "تقسيم الألفاظ" فتناول تقسيم اللفظ إلى اسم وكلمة وأداة وفق منهجية التقسيم لدى كل من الفلاسفة واللغويين، ثم تناول تقسيم اللفظ إلى مفرد ومركب، وتقسيم اللفظ إلى جزئي وكلِّي، وأخيرا تقسيم اللفظ إلى خاص وعام. والمبحث الثاني حمل عنوان "إشكالية العلاقة بين الدال والمدلول" فتناول قصية نشأة اللغة الإنسانية ورأي الفلاسفة العرب، مع ربط رأيهم برأي اللغويين القدامى والمحدثين، ثم تطرق إلى العلاقة بين الدال والمدلول، فتناول هذه القضية عند الفلاسفة اليونان ثم عند الفلاسفة العرب ثم عند مفكري العصر الحديث.

ويأتي **الفصل الثالث** فيتناول **ماهية العملية الدلالية** وأبعادها، وينقسم إلى مبحثين؛ **الأول** يعالج عملية التصور الذهني للدلالة، فيتحدث عن الإدراك الحسي والإدراك العقلي، ووسائل إدراك المعنى،

ومراحل تكوّن المعنى في الذهن، ثم التصور الذهني للأشياء، أبعاد العملية الدلالية، وربط كل قضية على حدة برأي المفكرين المحدثين.

والمبحث **الثاني** تناول مفهوم الدلالة وأقسامها؛ فتحدث عن أهمية الدلالة ومفهومها، والفرق بين الصوت والكلام، وتصنيف المعاني إلى مفردة ومركبة، ثم إلى خاصة وعامة، ثم تناول أقسام الدلالة من حيث كمال المعنى فقسمها إلى عقلية وطبيعية ووضعية، ثم أصناف الدلالة الوضعية من حيث المفهوم والمجزوء والماصدق، وتعرض أيضا للدلالة المحسوسة والمعقولة، والتفريق بين الدلالة الفلسفية وغيرها، وأخيرا التصور والتصديق.

و**الفصل الرابع** عالج قضية تعدد الدلالة؛ وتناول علاقة الألفاظ بالمعاني فتعرض لقضايا التعدد الدلالي؛ فتناول الترادف بين الإنكار والإثبات، وموقف اللغويين من الترادف، وأخيرا أسباب الترادف، كما تعرض لظاهرة المشترك اللفظي وأسباب حدوثه في اللغة، والفرق بين المشترك والمنقول، ودرجة الاستعمال المشترك، والمشترك اللفظي في الفلسفة المعاصرة وعند اللغويين، ثم الأضداد، والعلاقة بين الأضداد والمشترك اللفظي، والأضداد بين الإنكار والإثبات، وأسباب نشوء الأضداد.

أما **الفصل الخامس** فيتناول **ظاهرة تغير المعنى**، وانقسم إلى ثلاثة مباحث؛ **الأول**: تعرض لأسباب تغير المعنى وأشكاله، فتناول أسباب تغير المعنى، وأجملها في العامل الاجتماعي والنفسي واللغوي، ثم تناول أشكال تغيُّر المعنى من خلال تقسيمين؛ التقسيم المنطقي والتقسيم النفسي، وأخيرا الحقيقة والمجاز. والمبحث **الثاني**: تناول ظاهرة المجاز من وجهة نظر دلالية وأثره في التحول الدلالي وذلك من خلال تناوله عند كل من فلاسفة اليونان والفلاسفة العرب واللغويين. وأما المبحث **الثالث** فيتناول وجها خاصا من وجوه المجاز هو الاستعارة، فتحدث عن الاستعارة عند فلاسفة اليونان، ثم عند الفلاسفة العرب، مع ذكر الفرق بين الاستعارة والنقل، والعلاقة بين طرفي الاستعارة، وأثر الاستعارة في تغير المعنى.

أما **الفصل السادس** فيتناول مفهوم القضية المنطقية والفرق بينها وبين الجملة اللغوية، وعناصر بناء القضية وأيضا عناصر بناء الجملة، والرابط في القضية أو الجملة بين الفلاسفة واللغويين، مع التعرض لأنواع القضية الحملية والشرطية، وتقسيم الخبر، وأنواع القضايا في الفلسفة المعاصرة، وأخيرا الجملة والقضية بين التأثير والتأثر وأثر كل منهما في الأخرى.

وأخيرا جاءت الخاتمة مشتملة على أهم النتائج التي توصل إليها، ثم أهم التوصيات التي يوصي بها.

تمهيـــــــد

مدخل مصطلحي:

حَرّيٌ بي أن أميز بين عدة مصطلحات وأحدد مفهوم كل مصطلح منها على حدة، وذلك كمدخل لتحليل العلاقة بين اللغة والفلسفة، فطالما يحدث الخلط بين هذه المصطلحات للتداخل الشديد بينها:

فلسفة العلم . فلسفة اللغة

لغة الفلسفة – لغة العلم

الفلسفة اللغوية – فلسفة علم اللغة

فلسفة العلم The philosophy of Science:

تنصب اهتمامات فلسفة العلم – أيّ علم – على موضوعات عدَّة، منها:

- التحليل النقدي لبعض المفاهيم الأساسية الخاصة بالعلم وبمبادئه الأولى.
- التحليل النقدي لمنهج البحث في العلم ولبعض التصورات والمشكلات المتعلقة به .
- تحليل ونقد بعض الفروض – وبخاصة الفروض الفلسفية– التي قد يأخذ بها العالم في صياغة نظرياته وقوانينه العلمية.
- التداول النقدي والتحليلي للغة العلم والتغيرات التي تصاغ فيها قضاياه[١].

إذا توقفنا عند هذه الاهتمامات التي تنصرف إليها فلسفة العلم، فسوف يتضح لنا أنها – على الرغم من تعددها واختلاف مراميها – تتفق جميعها في صفة مشتركة؛ هي أنها كلها تقوم على عبارات تتكلم عن العلم وأولياته ومفاهيمه وفروضه، واللغة التي تساق فيها نتائجه، لكنها لا تتكلم عن موضوعات يهتم بها العالم نفسه.

إن فلسفة العلم تتكون من عبارات تقال عن العلم؛ لكنها لا تكون هي نفسها عبارات علمية؛ أي لا تكون من بين عبارات هذا العلم، ومن ثَمَّ فهي عبارات لا تقال في العلم، وهكذا فلسفة أي علم بما في ذلك اللغة.

فلسفة اللغة: Philosophy Of Language:

لو طبقنا المفهوم السابق لفلسفة العلم على اللغة بوصفها علماً، لاتضح لنا أن فلسفة اللغة هي كل ما يقال عن اللغة لكنها لا تكون من بين ما يقال في علم اللغة، وعليه فإن فلسفة اللغة تدرس اللغة دراسة فلسفية شأنها في ذلك شأن فلسفة العلم الطبيعي، وفلسفة السياسة، وفلسفة الجمال، وفلسفة الدين، وفلسفة الفن،...إلخ.

"إنها محاولة لتقديم أوصاف فلسفية لملامح عامة في اللغة من قبيل الإشارة والمعنى والصدق، ولا ترتبط بعناصر محددة في لغة بعينها إلا بصورة عارضة، وهي بذلك اسم لمبحث من مباحث الفلسفة، يصب جل اهتمامه على مشكلات تثيرها اللغة ذاتها، وتبعاً لذلك لا تعد فلسفة اللغة دراسة للغة من حيث هي كذلك؛ بل هي حديث فلسفي حول اللغة وليس من بين ما يقال في علم اللغة Linguistic"[٢].

---

١ انظر: فلسفة اللغة عند تشومسكي، إبراهيم طلبة، دار الحضارة، طنطا، ١٩٩٦، ص٢٥.

٢– فلسفة اللغة والمنطق – دراسة في فلسفة كواين، صلاح إسماعيل، دار المعارف، ١٩٩٥، ص١٦.

إذن فهي مبحث مستقل له موضوع خاص به هو اللغة منظوراً إليها من الزاوية الفلسفية، "وله مناهج قائمة بذاتها وتاريخ خاص ونظريات أساسية، مثل النظريات المنطقية والألسنية والتأويلية، مع ضرورة الإشارة إلى المكانة الخاصة للتأويل والتحفظات القائمة بينه وبين التحليل المنطقي الذي يدافع عن خصوصية العلاقة بين المنطق واللغة"[١].

وإذا اتجهنا إلى المحاور الأساسية التي تقاسمت دراسة فلسفة اللغة لوجدناها تتحدد في ضوء عدة مجالات، لعل أبرزها الميتافيزيقا ونظرية المعرفة والمنطق.

فالميتافيزيقا هي "محاولة لصياغة الحقائق العامة إلى حد بعيد عن العالم، بما في ذلك سرد المقولات الأساسية التي تنتمي إليها الكائنات ووصف علاقاتها المتبادلة"[٢] وقد شكَّلت الميتافيزيقيا مصدراً أساسيًّا من مصادر دراسة فلسفة اللغة، ويبدو هذا واضحاً في الفلسفة اليونانية وبخاصة عند أفلاطون ونظريته في اللغة، كما يبدو واضحاً في الفكر المعاصر في الفلسفة التحليلية والوضعية والمنطقية من خلال وضعهم لإشكالية اللغة والفلسفة معًا.

ونظرية المعرفة بدت مصدرًا خصبًا في تناول إشكالية اللغة، وأبرز مشكلات هذا الفرع التي تعنى باللغة هي مشكلة المعرفة الأولية التي يفترضها العقل وتكون سابقة على التجربة، مثل المعرفة التي نملكها في الرياضيات[٣].

أمَّا **المنطق** فهو دراسة الاستدلالات، وهو على وجه الدقة محاولة لابتكار معايير لفصل الاستدلالات الصحيحة عن الباطلة، وبما أن التدليل العقلي يتم نقله عن طريق اللغة؛ فإن تحليل الاستدلالات يعتمد على العبارات التي تبرز كمقدمات ونتائج، ونظرة عامة إلى منطق أرسطو وعلاقته باللغة، أو نظرة أخرى إلى مذهب رسل في اللغة وعلاقته بالمنطق الرمزي، لكفيلة أن تعمق في أذهاننا إمكانية تناول اللغة من خلال تلك العلاقة الوثيقة بينها وبين المنطق[٤].

فلسفة علم اللغة Philosophy of Linguistics:

تشكل فلسفة علم اللغة مجالاً مختلفًا عن فلسفة اللغة؛ إذ يُنظر إلى فلسفة اللغة على أنها المجال الذي يسعى إلى كشف ما يمكن كشفه حول المعرفة المفهومية من الطريقة التي يتم بها التعبير عن هذه المعرفة وتوصيلها في اللغة، وتبعًا لذلك فإن المقدمة الأساسية لفلسفة اللغة هي أن هناك علاقة قوية بين صورة اللغة ومحتواها، وصورة عملية التصور ومحتواها؛ ومن ثَمّ فإن المهمة الخاصة لفلسفة اللغة هي كشف هذه العلاقة

١- منزلة تحليل الخطاب وفلسفة اللغة، الزواوي بغورة، بحث ضمن مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة الثانية عشرة-العدد الثاني عشر، مركز الكتاب للنشر، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، ص٧٢ .

٢- منزلة تحليل الخطاب وفلسفة اللغة، ١٩.

٣- السيميوطيقيا وفلسفة اللغة عند كاسيرر، محمد مجدي الجزيري، دار الحضارة، طنطا، ١٩٩٩، ص٥.

٤- انظر: فلسفة اللغة والمنطق، صلاح إسماعيل، ٢٠.

ووضع عمليات استدلال كائنة ما تكون حول بنية المعرفة المفهومية التي يمكن إقامتها على أساس ما نعرفه حول بنية اللغة .

وعلى هذا النحو تعد فلسفة اللغة مجالاً متميزاً عن فلسفة علم اللغة التي هي جزء من فلسفة العلم، والتي يكون اهتمامها الأساسي هو فحص النظريات والمناهج الممارسة لدى عالم اللغة المتخصص فيها(١).

إذًا فهناك حالات من التداخل جديرة بالاعتبار بين هذين المجالين، لكن هذا التداخل لا يبيح لنا أن نجمعهما تحت اسم واحد؛ فمشكلات فلسفة اللغة تتطابق تطابقاً جزئيًّا فقط مع مشكلات فلسفة علم اللغة، ولكن لا يتضمن أي فرع منهما نظيره تضمنًا كليًّا.

الفلسفة اللغوية Linguistic Philosophy:

هي مدرسة أو اتجاه فكري ازدهر في اكسفورد منذ منتصف القرن العشرين كمنهج لدراسة اللغة وبحثها، فهذا المصطلح لا يزيد – شأنه في ذلك شأن مصطلح "التحليل اللغوي" – على أن يكون منهجًا يمكن استخدامه لحل مشكلات تظهر في الميتافيزيقا والأخلاق والمعرفة، وغيرها من مباحث الفلسفة؛ حيث يعتقد الفيلسوف اللغوي بأنه يمكن توضيح المشكلات الفلسفية التقليدية وحلها عندما نعيد طرحها في صياغة لغوية، فمثلاً بدلاً من أن نسأل: ما الذي يجعل الفعل أخلاقيًّا؟ فإنا نعيد صياغة السؤال في مجموعة من الأسئلة حول معنى أو استعمال تعبيرات من قبيل "خير" و"حق" و"واجب" وهكذا(٢).

وهذا معناه أن الفلسفة اللغوية هي في الأساس اسم منهج Name of method أو طريقة منهج أو مجرد منهج؛ أي رؤية ذاتية أو محاولة فلسفية لوصف الخصائص العامة للغة؛ كالإحالة والإسناد والمعنى والضرورة..... إلخ

فالفلسفة تبحث عن الأفضل في القول والفعل، إنها تسأل عما يمكن أن يقال وما يجب أن يقال حول مشكلات الفكر الكبرى، ومن ثَمَّ فإن الفلاسفة في دراستهم للغة يمكنهم أن يقدموا تصورات مفيدة لعلماء اللغة، وإذا كان "أوستن" هو فيلسوف لغوي Philosopher Linguage، فإن "فتنجشتين" هو فيلسوف لغة Philosopher of Linguage(٣).

لغة العلم: The Language of science:

تتضح العلاقة بين اللغة والعلم عند النظر للعلم باعتباره تصورًا شاملاً عن العالَم، بدلاً من أن يكون مجرد محاولة لوصف حقائقه المتفرقة والمنعزلة، ومن هنا يتطلب العلم مبدأً جديداً يؤكد أهمية تحديد النظام الكامن في العالم، واللغة بدورها أول محاولة قام بها الإنسان ليفصح عن عالم مدركاته، ومن ثم ظن بعض

---

١ - The philosophy of language , Katz, New york and London: Harbor , ١٩٦٦ ,P٤ . .
نقلاً عن: فلسفة اللغة والمنطق، ١٨.

٢ – انظر: فلسفة اللغة والمنطق، ١٧.

٣ – انظر: فلسفة اللغة عند تشومسكي، ٢٦.

علماء اللغة أنه من الضروري أن نفترض في الإنسان ملكة تصنيف خاصة لتعليل حقيقية الكلام الإنساني ومبناه.

لكن إذا كانت اللغة تحاول رؤية ضروب التشابه والتعبير عن التشابه في الظواهر بواسطة التشابه في الاسم، فإن ما يبحث عنه العلم في الظواهر أبعد من التشابه في الاسم؛ ذلك أنه يبحث عن النظام، ولم يكن للتصنيفات الأولى الموجودة في الكلام الإنساني غاية نظرية؛ بل إن أسماء الأشياء تؤدي مهمتها على أفضل وجه متى ساعدتنا على توصيل أفكارنا والربط بين فعاليتنا، ومن ثَمَّ فإن وظيفتها الغائية تتطور في بطء إلى وظيفة موضوعية أو تمثيلية، فكل تشابه ظاهري بين ظواهر مختلفة حقيقية يؤدي إلى إطلاق اسم مشترك عليها، وهكذا تسمى الفراشة في بعض اللغات طائرًا ويوصف الحوت بأنه سمكة[١].

وعندما بدأ العلم تصنيفاته الأولى كان عليه أن يصحح هذه المشابهات السطحية ويتغلب عليها؛ ذلك أن المصطلحات العلمية لا تتم صياغتها عرضا؛ بل هي تتبع مبدأً محددًا من التصنيف، وخلق مصطلح منظم ملائم ليس مظهرًا من التزين في العلم؛ وإنما هو من العناصر اللازمة الضرورية، ويعبر "لينابوس" عن هذه الحقيقة فيقول: "إن من لا يعرف الأسماء فإن معرفته أيضا بالأشياء تتحطم"[٢].

من هذا المنطلق يوجد التداخل والتفاعل بين اللغة والعلم؛ فقد تعتبر الأسماء اللغوية والعلمية الأولى نتيجة لغريزة تصنيفية واحدة، لكن الذي يتم في اللغة لا شعوريًّا يتحقق في العملية العلمية عمدًا وعلى منهج مرسوم، وفي المراحل الأولى للعلم تستعمل أسماء الأشياء بالمعنى الذي تستعمل فيه في الكلام العادي، وهي تستعمل في وصف العناصر الأصلية أو خصائص الأشياء، وتتضح مثل هذه الأسماء العامة في النظم الإغريقية الأولى للفلسفة الطبيعية، أي لدى أرسطو، وعندما جاءت المدرسة الفيثاغورثية نجحت في أن تقدم للفلسفة اليونانية لغة جديدة هي لغة الأعداد، وبفضل هذه اللغة الجديدة أصبح العالم قابلاً للفهم والإدراك[٣].

واللغة العلمية لا تقع على نفس مستوى اللغة المعتادة المألوفة بيننا؛ ذلك أن رموزها من نوع مختلف، كما أنها تتكون بطريقة مغايرة، فنحن نجد كل لفظ يتحدد بطريقة واضحة بعيدة عن الغموض، وبواسطته يمكننا وصف العلاقات الموضوعية للأفكار وتسلسل الأشياء.

لغة الفلسفة The language of philosophy:

هل حقًّا توجد لغة خاصة بالبحث الفلسفي ؟!!

للإجابة على هذا السؤال لابد أن ننتقل من الفكرة الفلسفية إلى اللغة المصاحبة لها؛ فعند الحديث عن علاقة اللغة بالخطاب الفلسفي لابد أن نبدأ من فلسفة اللغة لنتعرف على دلالة الخطاب الفلسفي الكامن فيها، أمَّا عند الحديث عن لغة الفلسفة فنحن نفترض أن الخطاب الفلسفي قد تحدد بالفعل ثم أدركناه وعرفناه، وكل ما

١- انظر: السيميوطيقا وفلسفة اللغة عند كاسيرر، محمد مجدي الجزيري، ٧٢.

٢- السيميوطيقا وفلسفة اللغة عند كاسيرر، ٧٣.

٣ – انظر: السابق، ٧٣.